

مالتوس

ومشكلة السكان في مصر

للأستاذ محمد محمد علي

—————

يعتبر مالتوس أشهر من كتب في مسألة السكان ، إذ اتوا الرأي العام في بلاده وفي البلاد الأخرى ، كما به الأدهان إلى ضرورة دراسة السكان ، فهي أساس المشكلات الاجتماعية .

وقد أتى مالتوس ضوءاً جديداً على مسألة السكان وقد أثار هذا جدلاً واختلافاً في الرأي . ولعل ما يمتينا في مصر هو معرفة الحد الذي تتحقق عنده آراء مالتوس في مشكلة السكان في مصر . وللوصول إلى ذلك يجمل بنا أن نعرض آراء مالتوس ونظريته في السكان ، ثم نلخص النقط الأساسية في مشكلة السكان في مصر .

هنالك دوائع ثلاثة حفزت مالتوس إلى وضع كتابه المشهور : هي حياته وثقافته ، والمصر الذي عاش فيه ، ثم آراء معاصريه . فقد كان أبوه صديقاً لجان چاك روسو ، ونشأ في بيت تسوده المحافظة على التقاليد ، لذلك كان لا يمتدق في إمكان إصلاح المجتمع عن طريق الثورة . وفي كبره دمج جملة حياته الدينية يؤمن بملازمة الألم للإنسان بسبب وجود الفرزة الجنسية وغمرة البحث من الطعام .

وكان للمصر الذي عاش فيه أكبر الأثر في تكوين آرائه ، ووضع نظريته ؛ إذ كانت أوروبا — في أواخر القرن الثامن عشر — في حالة سيئة نتيجة الثورة الفرنسية ، وأجملترا كانت تسودها أزمة اقتصادية واجتماعية ، فقد ساء الحصول الزراعي في الريف . وكانت الصناعة تتقدم تدريجياً ويزاد السكان تبعاً لذلك ، وحالت الضرائب ورسوم الجمارك دون إزدياد موارد الغذاء . كما نتج عن الاختراعات لتحصين الآلات الاستثناء من كثير من العمال فانتشرت البطالة وهم البؤس مما أثقل كاهل الفقراء .

وكان من نتيجة كل ذلك ظهور آراء فوضوية بنية الإصلاح . وكان من زعماء الحركة الاشتراكية حينئذ : جودوين الذي كتب

بحثاً في العدالة الاجتماعية ، وكان يمتدق في طبيعة الخير التي تنطوي عليها البشرية ؛ وكندوسيه وكان يرى أن الإنسانية تسير نحو الكمال في عشر مراحل وأنها كادت تبلغ ذروة الكمال في عهده . إذن فالظروف التي سادت في عصره أوحى إليه بالتشاؤم فأراد أن يحذر مواطنيه من سوء المواقف . ثم إن آراء معاصريه لم ترفه فرغب في أن يرد عليهم . لذلك وضع مالتوس كتابه وظهرت الطبعة الأولى عام ١٧٩٨ بعنوان طويل اختصره في الطبعة الثانية عام ١٨٠٣ ويبحث الكتاب في أربعة موضوعات :

العقبات التي تعترض زيادة السكان في الأزمنة القاربة . ثم العقبات التي تعترض زيادتهم في الأمم الحديثة . ثم دراسة للنظم المقترحة لعلاج أضرار زيادة السكان ، وأخيراً عرض لآرائه ومقترحاته .

وتتلخص نظريته في السكان في نقط ثلاث :

١ — إن عدد السكان يحدد بالغذاء ، فهناك علاقة بين عدد السكان وكية القوت .

٢ — يزيد عدد السكان كلما زاد القوت إلا إذا وجدت عقبات قوية .

٣ — هذه العقبات التي تجعل ازدياد السكان متناسباً مع الغذاء هي البؤس ، أي المجاعة والحرب والأوبئة ، والرذيلة أي الخيانة الزوجية والعلاقات الجنسية الفوضوية ؛ والضابط الأخلاقي أي تأخير الزواج مع حياة العفة . وهذا العامل الثالث أساقته في الطبعة الثانية بعد إذ اتهمه الناس بالكفر لأنهم أنه إنما ينسب البؤس والرذيلة إلى قوة إلهية .

فالتوس يرى أن المجتمع الإنساني كالسكان الملى في حاجة دأعة إلى الغذاء . وأن من البعث معالجة الفقر بالتوزيع العادل للقوت . وينسب الفقر في المجتمع إلى اختلال التوازن بين عدد السكان وموارد الغذاء ، على أن السكان يزيدون على حسب متتالية هندسية والغذاء طبقاً لمتتالية حسابية . لذلك يتضاعف عدد السكان كل ربع قرن ؛ ما لم تكن هناك ضوابط إيجابية أو سلبية . ولم يناد مالتوس بضبط النسل بل نادى بالضابط الأخلاقي .

هذا مجرد ملامح لآراء مالتوس والظروف التي أحاطت به حين

٢ - تحديد عدد السكان ، وسائل ضبط النسل .

ويظهر لنا من كتاباته أنه يجيئ الأتجاه الثاني لأنه لاحظ أن التقدم الحضارى في أوروبا يصحبه نقص في المواليد ، وذلك لزيادة رغبة الناس في صحة أحسن وسعادة أعظم وثقافة أرق ورغبات أسى ، ولكن تحديد النسل من الصعوبة بمكان تبعاً للتقاليد والعادات والأفكار القديمة .

ولعل من المفيد أن أختتم هذا المقال بما اختتم به كيليئند كتابه^(١) إذ يقول :

إن موقع مصر الجغرافى يجعل من الصعب عليها أن تحمل مشكلتها وحدها بل لا بد من التعاون مع جاراتها ، ذلك لأن النيل دول : Nile is international

محمد محمد على

إبائيه في الآداب

(١) The Population Problem In Egypt, 1936

في أصول الأدب

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب في الأدب والنقد ؛ يتميز بالبحث

والصق والتحليل الدقيق والرأى المتكسر .

من موضوعاته : الأدب وحظ العرب من تاريخه ، الموامل للزرة في الأدب ، النقد عند العرب وأسباب ضعفه فيه ، تاريخ حياة ألف ليلة وليلة ، أثر الثقافة العربية في الشرق والعالم ، الرواية المصرية واللغة وتاريخها وتواعدها وأقسامها وكل ما يتصل بها ، وهو بحث طريف يبلغ نصف الكتاب .

طبعة جديدة مزيدة في ٢٥٠ صفحة من القطع

التوسط وثمنه خمسة وعشرون قرشاً

تأليف كتابه . أما عن مشكلة السكان في مصر ، فقد تحدثت عنها بإيجاز في مقال سابق^(١) . وأسأها ازدياد عدد السكان زيادة لا تتناسب مع زيادة الموارد الغذائية ، وسوء توزيع الثروة ، وإحجام أصحاب الأموال والشباب عن خوض غمار الصناعة واستغلال الثروة المدنية . والآن يمكن أن نقين مدى تحقق آراء مالتوس في مسألة السكان في مصر :

لم تضاعف عدد السكان في ربع قرن بل تضاعف في نصف قرن . وقد يكون هذا راجعاً إلى الضوابط الإيجابية وهي البؤس والرذيلة .

وزاد السكان زيادة خطيرة في حين أن الغذاء زاد زيادة بسيطة . وهنا يحسن الا نظر إلى المسألة بعين مالتوس ، فقد قامت الصناعة في مصر وبدأت تزدهر منذ ربع قرن وذلك بفضل ماملين : الحرب العالمية الأولى ، والتريفية الجركية وحمايتها للصناعة الحامية . وليس من شك في أن المامل الصناعى يعيش في مستوى أروم وأرق مما يعيش فيه المامل الزراعى ، وأوضح دليل على ذلك تكوين النقابات العالية واهتمام الحكومات بالمامل الصناعى وخاصة في (وضع الكادر) والتأمين الاجتماعى ... وما يمت على الأصل إمكان ازدهار الصناعة المصرية في المستقبل ، وغنى مصر بثروتها المدنية ، وما سيحدثه من تغير عظيم مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان .

ومن الصعب تنفيذ الضابط الأخلاقى في مصر في ظل المدنية الحديثة وما فيها من ساهج و ... حقاً يعتمد الشباب إلى تأخير الزواج لدوافع اقتصادية واجتماعية ، ومن جهة أخرى يستخدم ضبط النسل بنجاح بين الطبقة العليا والمتنفة .

أما توزيع الثروة توزيعاً عادلاً فهذا ليس من السهت كما قرر مالتوس فليس ييب ثروة مصر كيتها بل توزيعها . إذن لم تتحقق آراء مالتوس كلها كاملة :

وبرى الدكتور ونيل كيليئند حلاً لمشكلة السكان في مصر بما يأتى :

١ - العمل على زيادة الموارد الطبيعية زراعية وصناعية .